Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويشيد بعيدها وأدبائها وزعمائها، ويولّى وجهه بعد زيارتها إلى دمشق، ويستقبله بها أعضاء المجمع العلمى استقبالاً حافلاً يتبارى فيه الخطباء والشعراء، وينشدهم نونيته الدمشقية البديعة واصفًا جناتها الوارفة، مشيدًا بخلفائها الأمويين وما شادوا من أمجاد، مستنهضًا همم أبنائها ليسترجعوا دولتهم وتاريخهم القديم الزاهى، ويختم قصيدته بقوله:

ونحن فى الشَّرْقِ والفُصْحَى بنو رَحِمٍ ونحن فى الجُرْحِ والآلام إخوانُ

وانبهر أهل دمشق بالقصيدة انبهارًا لا حدود له ولا ضفاف، وعاد شوقى إلى مصر. وكأنما أشعلت القصيدة البركان الوطنى بدمشق، فلم يكد يمضى - على إلقاء شوقى للقصيدة - نحو شهرين حتى شبت ثورة ضارية على الفرنسيين، ففزعوا إلى المدافع يضربون بقذائفها المدينة وثوارها الأحرار، وخضبت دماؤهم الذكية الشوارع والدروب والدور، وغضب شوقى لها ولأهلها ورمى الفرنسيين بقذيفة مضطرمة من قذائف شعره الملتهب حماسة، مستهلاً لها بقوله:

سَلامٌ مِنْ صَبَا بَرَدَى أَرقُّ ودمعٌ لا يُكَفْكَفُ يَا دمشْقُ

ومضى يصوّر مُلتاعًا كيف دُكّت معالم التاريخ فى المدينة ظِئْر الإسلام ومرضعته وحاميته، وكيف هُتكت حرمة النساء وهن يحملن على صدورهن الأطفال الأبرياء، ومن حولهم النار المدمرة. ويدعو السوريين إلى الاتحاد حتى يعصفوا بالمستعمر الباغى قائلاً:

نصحتُ ونحن مختلفون دارا ولكنْ كلُّنا فى الهمّ شَرْقُ
ويَجْمَعُنا -إذا اختلفت بلادٌ- بيانٌ غير مختلفٍ ونُطْقُ
وللحريَّة الحمراءِ بابٌ بكل يَدٍ مضرَّجَةٍ يُدَقُّ

وشوقى يدعو أبناء سوريا إلى استمرار الثورة على الفرنسيين وبذل الدماء والأرواح فى سبيل الحرية والاستقلال، فالشعوب لا يحررها مثل الضحايا من أبنائها الثائرين.